نصوص

ثلاثة أصوات شعرية إيطالية تتناول موضوع الهجرة من زوايا مختلفة، فبينما تُهيمن على مفردات فرانكا مانتشينيلي وماريا غراتسيا كالاندروني حالة مأتمية تعكس انكسار اللاجئين، يُضفي سيموني سيبيليو على المهاجر صفات الإشراق والخصوبة على نحو غير مألوف في الأدبيات الإيطالية

قصائد لمن لا وطن لهم

شعراء إيطاليا يكتبون الهجرة

روما ـ **أمل بوشارب**

انتقل صدى أزمة اللجوء والهجرة، التي طغت خلال السنوات الأخيرة على المشهديّن السياسي والإعلامي في إيطاليا، إلى أشكال التعبير الفنية من أدب وسينما، وقد سُجّل تكريس الهجرة فيها كمفهوم متجانس وأُحادي البعد، غدا معه التفريق بين صفة المهاجر النظامي والسرّي واللاجئ السياسي وحتى المواطن الإيطالي من أصول أجنبية، مهمّة صعبة.

من بين آخر هذه الأعمال فيلم «بسم الله» لـ أليساندرو غراندي الذي حاز جائزة «دافيد دي دوناتيلو» لأفضل فيلم قصير في إيطاليا لعام 2018، كما خصّصت قبل ذلك مجلّة «Poesia» الإيطالية الدولية في عددها 319 (2016) ملفّاً عن موضوع الهجرة واللجوء بعنوان «أناشيد لمن لا وطن لهم»، لعب فيه الشعراء الإيطاليّون دور المهاجر العربي والأفريقي، لتصوير مشاهد المعاناة التي تكتنفها حياتهم السرية.

وفي الوقت الذي صوّر فيه «بسم الله» مأزق طفلة تونسية أمام مرض أحد أفراد عائلتها المهاجرة بعد ستة أشهر من الإقامة غير الشرعية في إيطاليا، ركّز الشعراء، على غرار فرانكا مانتشينيلي (1981) وهي أحد أبرز الأصوات الشعرية الشابّة في إيطاليا، على وصف ما تكتنفه رحلات الهجرة على قوارب الموت؛ حيث هيمنت على مفردات الشاعرة حالة مأتمية ولغة متقطّعة ومفكّكة لصور منفصلة متّصلة عكست الروح المنكسرة والشريدة للاجئين.

وساندتها في ذلك ماريا غراتسيا كالاندروني (1964) التي عُرفت بالتزامها بالقضايا العالمية الكبرى، إذ نُشرت لها في ذات الملف قصيدة صوّرت حالة أمّ ثكلى فقدت ابنها في عرض البحر، في مرثية إنسانية تضمّنت أيضاً نقداً لـ«التبلّد» الحسّي الذي أصاب أوروبا أمام فجائع البحر. وقد خلا الخطاب الشعري، لدى كلتا الشاعرتين، من التزويق اللفظي والبهرجة اللغوية بما يتوافق مع سوداوية الثيمة التي كتبتها الشاعرتان بعاطفة قوية.

في المقابل، وخارج هذا الملف، نجد سيموني سيبيليو (1979) في قصيدة «هبة» أو «العطية المقدّمة من الجنوب إلى الشمال» يعزو إلى المهاجر، على نحو غير مألوف في الأدبيات الإيطالية، صفات الإشراق والخصوبة والصلابة المعنوية والتناغم الفطري مع الطبيعة، مغرّداً بذلك خارج سرب «الاستبليشمنت» الذي يسعى لتكريس مفردات اليتم والإحباط والوجوم، عندما يتعلّق الأمر بالمهاجرين وما يرافق ذلك من تعتيم تام عن حجم الموارد البشرية الضخمة التي استفادت منها أوروبا مؤخّراً بفضل الهجرة تحت مسمياتها المختلفة. هنا ترجمتنا للقصائد الثلاث.

أناشيد لمن لا وطن لهم

(ماريا غراتسيا كالاندروني*)

قبالة البحر هذا الميتم
لا عالم مُثل فيه، قوةً مسلّحة

لهذه التعاسة المنيعة
التي لم يعد لها أحد تتطلّع إليه
وتحسده على الحياة

نحن هم المتبلّدون، نعيش حيواتٍ
مسلّحة
حتى لا نتعرّف على خوفنا في خوف
الآخرين، نفّسنا
في نفّس
الآخرين - النفَس الواحد
في كتلة هذا النفَس البشري الذي ينتفخ
ولا يسعه
إيقاف الموجة

فلنتخيّل أنها
حياتك أنت هي التي تطلب اللجوء

فلنتخيّل أنه
عالمُ مُثلنا اليائس
هو الطافح
برغبةٍ أن يولد من جديد

فلنتخيّل أنها أجسادنا
هذه هي الأجساد المتروكة
للتهاوي في ميتم اللامبالاة

الهجران المطلق لولادة يتيم، يشبه دون
شك الهجران الذي تُقذف فيه كل روحٍ من
هذه الأرواح
التي تطلب أن تولد من جديد

عندما يكون الأطفال هم الميتون، تعجز
حتى الكلمات. وحتى في الصلوات
الكنسية، في تلك الحالات النادرة والرمزية،
نلجأ إلى الكناية لمواساة «مريم» على فقد
ابنها...

بياضٌ فوق طاقة الإنسان من حطب ميت
ابني أنا
مصنوع من لحم
بشري
قابل للاحتراق،
للتعفن
ابني أنا
عند احتراق
الملح، تعرّفت على رائحة خشبك
وتحت مختبر الشمس، تعرّفت على ذلك
العطر المرهف للجلد الطازج والقطن
المغسول - بعدها
للحظة، تعرّفت على نظرة عينيك
التي حملتها معي، إلى هذه الحياة
التي لن تأتي بعد اليوم.

هبة

(سيموني سيبيليو**)

أرى الضفة، ها هي ذا
تنبسط على أعيننا بسخاء
بقلب حمامة
وجناحين من بلّور
تصبغ الماء بحلقات
كصدمات كهرباء
تعبر البدن
لتبعث فيه الحياة.
أنتظرها.
أن تتلمّس المرجان المُهدى على شرفها
أنتظرها أن تحضنني كأم
تترقّب على العتبة منتهى رحلة ابنها
تشتهيني
وكأني ما ضاع من لقاءٍ
يرأب المسافة بين أراضٍ تصغي إلى بعضها
تتلقّى منحي أنا لها
هِبة الرسوّ.

ها هي ذي، الضفّة
تبتسم مع وميض الإشارة
تتكلّس العظام
تتبلل الشفاه
يتهدهد الهواء
تتوهج الغيمات في مرآة
الماء
على طول الطريق الفيّاض، مثلها
بمنحنيات سخية، بضّة، هنيّة
ذي هي المنارة تبادهنا
بقوس قزحها
تعزف أنغام نصر، تغرف من التاريخ
تغري قصيدة تُزهر من نسيج الحياة،
الصدفة هذه أسيرتنا.

نجمع الأثواب والأكياس
المهجورة في الزوايا

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«قانون الرحلة» تنصيب لـ آي ويوي (من غاليري براغ الوطني)

ليست انهيارات جماعية

رغم البعد الإنساني الذي يتبنّاه الخطاب الفنّي الإيطالي حيال موضوع الهجرة واللجوء، إلّا انه يغفل في عمومه عن تقديم الهجرة كنزعة طبيعية تندرج في إطار حرية تكفلها الفطرة البشرية في التنقل، لينصبّ في دعم توجه وسائل الإعلام الإيطالية التي تكرّس مفهوم الهجرة بوصفه فعلاً قهرياً ناتجاً عن حالات انهيار جماعية لمعنويات الشعوب، خالعاً بذلك عن جماعات بأكملها أيّ ملمح من ملامح الأمل والإقبال على الحياة.

تصويب

الهودج الأول

بهرام أردبيلي

أعشابُ الثقة

في ليالي المخاطبات
أجلسُ
في انتظار
لمسة القمر
في حريم المطر.

أيها اليوغيّ
آن أن تنادي الأطفال
في مهبّ الشمس
كي يطيعوا الأحكام
وأنتِ يا زوجة الماهاراجا النجيبة
آن أن تخفيني
تحت ساري قدّكِ الطويل.

■■■

ليلُ ليلى كما رواه قيس

عاقدة بالريح الضفائرَ
سيدةُ قيس
تستشفي ببابٍ من أبواب
الصحارى.
يمرّ الشبق يائساً
عن ضفيرتها.
في حجلة الخليفة حبٌّ
طاساتٌ تصطفُّ شاحذةً
والسمّ الزعاف
في مطبخ التاجر.
الكتفُ،
الإصبع تمرّ على الرمل
الغصن ملتفٌّ على الغصن
وزيتيّ اللون.
ترى؛ أيها الطوق المعقود
ارفع قامة
إلى الهودج الأول.

(شاعر إيراني من مواليد عام 1947، وهو أحد أعضاء جماعة شعرية أطلقت على نفسها اسم «الشعر الآخر». رحل عام 2005. ترجمة من الفارسية: حمزة كوتي)

إطلالة

قُل لي ماذا ترتدي

ممدوح عزام

من بين القضايا التي اختلف حولها العرب في بداية القرن العشرين كانت قضية الملابس أكثرها طرافة، ولعل المعركة حول الطربوش أم القبّعة كانت أكثرها دلالة على قوّة التقاليد من جهة، وضرورات التجديد من جهة ثانية في الحياة العربية. فقد تقدّم كتّاب معروفون مثل مصطفى صادق الرافعي للدفاع عن الطربوش، بينما كتب علي عبد الرازق في وداعه.

غير أنّ الملاحظ في تاريخ هذا الصراع أن الموضوع الرئيسي هو لباس المرأة، أو أنّ الموضوع الرئيسي في جوهره هو تحرّر المرأة، وكان الخلاف الذي تجسّد في النقاش حول ملابسها، بين المعارضين والمؤيّدين، هو: هل يحق لها أن ترتدي الملابس العصرية بعيداً عن إرادة الرجل أم لا؟ وكان الرجال الذين يشنّون حملات الرفض للباس الجديد يحقّقون غايتَين من الهجوم على ملابس النساء المختلفة، أو على أزيائهن، فمن جهة يريدون إعادة المرأة، أو استعادتها، من نطاق الحرية المحتمل أو الحقيقي، إلى بيت الطاعة. أي أن مضمون الهجوم فكري واجتماعي. ومن جهة ثانية يعلنون رفضهم للجديد والمتغيّر بسبب روح المحافظة التي تخشى من التبدّلات الكبيرة.

والغريب في أمر الصراع على الزيّ بين العرب إنما كان ينحصر بين نمطَين هما الزي التركي، والزي الأوروبي. وقد ساهم رجال من كل الديانات في هذه الحملة التي اتّخذت أحياناً طابعاً شديد القسوة ضد النساء، إذ يقول الخوري مارون غصن: «نظرة أيها القارئ الكريم إلى الشوارع والمجتمعات فترى ما يحمرّ منه محيّا الإنسانية ويندى له جبين الأدب. نساء متبرّجات، وفتيات مستفحلات، يخطرن في الطريق حاسرات الرؤوس»، ويطلب من الصحف والمجلّات والخطباء والوعّاظ أن يحملوا على هذا، ليدفعوا وباء الأزياء المؤدّية إلى خراب البيوت.

بل إن الخوري غصن نفسه يؤكّد أنّ هؤلاء النساء لا يصغين لأنين الأطفال، ولا إلى عويل الأرامل. في زمن كانت البلاد تعيش فيه ويلات الحرب. وكل هذا بسبب الأزياء الجديدة التي ارتدينها دون موافقة سلطة الرجال.

كانت التهمة الأخرى جاهزة وهي اتهام النساء بقلّة الحياء بسبب ذلك، وكان عري بعض الأجزاء من أجسادهن مناسباً لهذه التهمة، وإليكم ماذا يقول سلامة موسى ردّاً على هذه التهمة، وكان من الطبيعي أن يختار متنوّر مثله الوقوف إلى جانب الجديد: «لقد انهزمت التقاليد وفازت الحضارة»، وهو أكثر الكتّاب وضوحاً في شأن اختيار اللباس وأسباب مناصرته له: «أحثّ بني وطني على ارتداء القبّعة».

الأهم من ذلك هو مضمون دفاعه عن ملابس المرأة العربية الجديدة؛ إذ قال إن المتمدّنين لا يعتقدون أن قلّة ملابس المرأة برهان على قلّة الحياء. ولديه رأي جريء يقول فيه إن من الواجب «أنْ لا يبرح أذهاننا أنّ الإغراء الجنسي إنما يأتي من كثرة الملابس وليس من قلّتها».

كان المؤرّخ البريطاني ليدل هارت يقول إن إهمال النساء لأزيائهن دليل على اضطراب الحياة السياسية، وارتباكها، وبالعكس فإن انشغالهن به مؤشّر على استقرار الحال.

أبصرُ آية المجهول مُشرقةً

نشيد الفجر

بمناسبة المئوية الثانية لصدور «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، أُطلقت أنطولوجية في لندن لشعراء من الشرق والغرب. يخصّ الشاعر المغربي محمد بنيس «العربي الجديد» بقصيدته

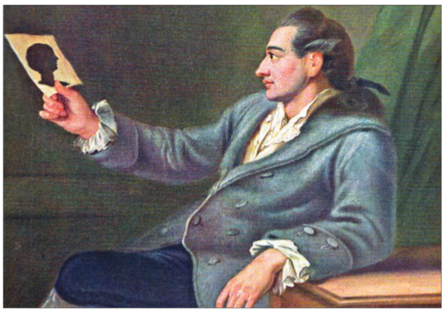

غوته في بورتريه للفنان الألماني جورج كراوس، 1776

محمد بنيس

يا سيّدَ الشُّعراءِ غُوته
غنّيْتُ من أدْنَى بلادِ الشرْقِ كأساً كنتَ تشْربُها سعيداً
تحتَ داليةٍ وتعْرفُ أنها خيْرٌ تماماً كلُّها
وحْدي هُنا في حَانةِ الغُرباءِ يمْلأُ كأسيَ السّاقي
نبيذاً صافياً
كأساً تلي كأساً
وفي سرِّي أباركُ نشوَةً
مُتنسّكاً أتعلّمُ الغرْبَ الذي أوْدعتَهُ في جوْهرِ الكلماتِ
أنتَ أنَا
أراكَ اليوْمَ من زَمنٍ إلى زَمنٍ تعودُ
تُطلُّ منْ معْراجكَ الكوْنيِّ يجْمعُ بيْننَا حُلمٌ
تكوّنَ منْ مدَايكَ عندمَا سُكرٌ
وشطْحٌ فيكَ ظلّا طائريْنِ إلى الأعَالي شُعلةً
يتلألأنْ
حقّاً سأرْفعُ ضوْءَ كأسكَ
لا سبيلَ سواهُ في زمني الجَريحِ كأنما
شوقٌ إليْكَ يقودُ
من غرْبٍ إلى شرقٍ يدُورُ الكأسُ لي سُكْرٌ
يُمجّدُ ما يديمُ عليَّ أنْ أحْيا بعيداً عنْ غباءِ الحقْدِ
أعرفُ أن وقتَ الضّيْقِ صارَ اليوْمَ أعْتَى
باسْمِ مَا سمّوْهُ شرْعيةً
ولكنّي بماءِ الحُبّ أغسلُ ما تدنّسَ في النّفوسْ
أهْلاً بكأسٍ منْ نبيذٍ يُشبه الياقُوتْ
سأشربُ في مديحِ العشْقِ هذا الكأسَ ليْلاً
ثم ليْلاً
سوْفَ أسْعَى مُخْلصاً لنشيدٍ منْ غنّى
منَ الشعراءِ للأرْضِ التي تبقَى
لنَا أمّاً كما كانتْ
أنَا السّكرانُ
أبصرُ آيةَ المجْهولِ مُشرقةً
على صمْتٍ توحّدَ بي
وفيّاً لانْفتاحِ اللأنهايةِ بيْننا
فرَحاً به أبداً أكونْ

كتبت القصيدة لأنطولوجيا شعرية تحمل عنوان «ديوان جديد» صدرت أخيراً بالإنكليزية عن «دار جينكو» Gincko بلندن، بمناسبة الذكرى المئتين لصدور كتاب الشاعر الألماني غوته (1749 - 1832) «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، الصادر سنة 1819.

أشرف على الأنطولوجيا كل من بربارة شويبك وبيل سوينسون، وقد تضمّنت قصائد لأربعة وعشرين شاعراً، 12 من الشرق و12 من الغرب، منهم: رضا محمدي من أفغانستان، وأنتونيلا أنيدا من إيطاليا، وأليش شتيجر من سلوفينيا، وكونغا أوزمان من تركيا، وأنجليكا فريتاس من البرازيل، وحافظ الموسوي من إيران، وكلارا خانيس من إسبانيا. ومن الشعراء الحاضرين من العالم العربي: أمجد ناصر من الأردن، وأدونيس من سورية، وعباس بيضون من لبنان، ومريد البرغوثي من فلسطين، وفاضل العزاوي من العراق، ومحمد بنيس من المغرب الذي خص «العربي الجديد» بقصيدته.

فعاليات

تُعرَض، عند السابعة من مساء غدٍ السبت، في «ساقية الصاوي» بالقاهرة مسرحية **خارميدس** عن نص «المزاد» للكاتب المصري **ميخائيل رومان** (1924 - 1973). العمل، الذي يخرجه **محمد حافظ**، يطرح تساؤلات حول القيم الاجتماعية والقمع الذي يتعرّض له الفرد في علاقاته في ظلّ سلطة تمارس الرقابة والتسلّط.

حتى الحادي والثلاثين من كانون الثاني/ يناير المقبل، يتواصل في «متحف: المتحف العربي للفن الحديث» بالدوحة معرض **مستوى النصر** للفنان الغاني **إل أناتسوي** (1944) الذي افتتح الثلاثاء الماضي. في معظم المنحوتات التي يحتويها المعرض، والمصنوعة من أنسجة تقليدية أو نفايات، يستحضر الفنّان أثر الاستعمار والصلات بين الاستهلاك والهدر والبيئة وتخريب الاقتصاد في أفريقيا.

حتى يوم غدٍ السبت، تتواصل فعاليات الدورة 12 من **مهرجان الجزائر الدولي للشريط المرسوم** في الجزائر العاصمة، بمشاركة قرابة 90 فنّاناً من 15 بلداً بينها الولايات المتّحدة؛ ضيف الدورة. تحتفي التظاهرة بمرور خمسين عاماً على تأسيس مجلّة «مقيدش» الجزائرية المتخصّصة في «الكوميكس» (1967 - 1983).

ورق أصفر شعار معرض كتاب الخريف الذي أطلقته «أزبكية عمّان» نهاية الشهر الماضي في العاصمة الأردنية، والذي يتواصل حتى الثامن من الشهر الجاري. تأسّست مكتبة الأزبكية سنة 2012، وقد نظمت عدّة تظاهرات للكتاب المستعمل، ويحتوي معرضها الحالي على قرابة سبعة آلاف عنوان.